

هواتف الليل ومفارقة القص القصير جداً

▪ علوان السلطان

فن القصة القصيرة فن الومضة التي تكثف حدثاً مكتنزا بجمالية الأداء ولذلك (لا يبرز فيه سوى الأكفاء من الكتاب القادرين على اقتناص اللحظات العابرة قبل انزلاقها على أسطح الذاكرة.. وتثبيتها للتأمل الذي يكشف عن كثافتها الشعرية بقدر ما يكشف عن دلالاتها المشعة في أكثر من اتجاه) على حد تعبير الدكتور جابر عصفور..

وفن القصة عاش مخاضات التجريب حتى انتهى عند القص القصير جداً.. الذي هو فن المراوغة موضوعياً وفنياً ، وكانت ولادته نتيجة التحولات الاستراتيجية الفكرية والفنية التي عاشها العصر الراهن.. فضلاً عن الحاجة للتعبير عن روح هذا العصر المأزوم الذي وسم بعصر السرعة.. والذي كان استجابة لنداء حركة الحد الأدنى minimalism التي برزت في الولايات المتحدة (كتابة مختصرة لحياة مختصرة).. فكانت الومضة وليدته.. إذ توسلها القص الشعري أسلوباً للتعبير عن أحداث متسارعة مع محاولة الإمساك بالنسق الحكائي والتوتر الدرامي والحدث السردى.. فضلاً عن اعتماده التكتيف الجملي الذي يحتضن عالماً متسع الدلالات.. إضافة إلى الشعرية والمفارقة التصويرية. وما فيها من ترميز وتوسيع أفق الإيحاء بلغة خاصة تقترب بكثافتها من لغة الكينونة باثة سمتها الشعرية عبر موضوعات تنوعت لكنها ظلت تستلم إشارات مهمة من واقعها المأزوم بشتى التناقضات مما يجعلها على علاقة حميمة بالإنسان ومنظومات قيمه المعرضة للانتهاك والعدوان.

و(هواتف الليل) المجموعة القصصية الصادرة عن دار دجلة/ ٢٠١٢ للشاعرة القاصة بشرى البستاني تحمل بين سطورها نبرة السرد وتقنياته المتألفة برؤيتها الشعرية من حيث التبئير والبنية واللغة.. إلا أنها تنتظم أفقياً حتى اكتمال الحدث

بانسياب سردي يعتمد بنية المشهد وأسلوبية المفارقة لتحقيق الدهشة..

(كانت تجلس الى جانبه..

كانت تتحدث بطلاقة وانفعال..

حينما وصل بها الى الدار ثارت فهي لم تنه كلامها بعد.. والطريق الى بيتها يجب ان يكون أطول مما هو عليه الآن..

قال: اذن ندور مرة أخرى..

دارا حول البيت كثيرا..

حينما نزلت من السيارة لم تجد دارها.. التفتت اليه باستغراب.. يومها ادركا أنهما قد أضاعا الطريق.. وكان عليهما ان يعاودا البحث من جديد.. لكن الحديث

كان قد انتهى..

وسكتت طلاقة المساء (/ص ٢٩..

فالقص ينمو ويتحرك بتحريك الحدث حيث التقاط القاصة اللحظة في زمن الواقع لتعيد كتابتها في زمن الفعل او زمن الكتابة بلغة تميزت بدينامية حركية تكشف عن تعدد الدلالات والتأويلات.. فضلا عن ان مفارقة النص تضعنا امام تفسير نفسي يكشف عن علاقة المرء بالمكان..

(هواتف الليل).. عنوان المجموعة المنتقى من بين قصص المجموعة والذي شكل باب الدخول لعواملها بجملته الاسمية المضافة التي تؤدي دورا دلاليا وتشكل لغة سيميائية تسهم في تبيير السرد وتفجير مدلولاته الايحائية.. اما عنواناتها الفرعية فهي منتقاة من اجل خلق بنية متضمنة مرموزات متعالقة والمتون السردية في حواراتها وشخصها وأزمانها..

(كان يريد وطننا بلا حروب.. وهي تريد وطننا تتواصل معه وبه..

تقول البرقية: انه بحاجة لسماع صوتها.. سيتصل بها مساء الخميس..

كانت ما تزال نائمة.. كلام الموظفة يأتي من بعيد.. ابعد من بحور فصله عنها..

كلام الموظفة لم يحرك استرخاءها..

أقفلت الهاتف بحياد..

تساءلت وهي عائدة إلى السرير..

هل يكفي أن يكون الأخر بحاجة إلينا لإحلال التوازن..؟

تساءلت بفضول: ماذا يمكن للزمن ان يفعل الهبي..؟

أهذا ما يحدث اذ ينفصل فضاء الحب بين مكان وزمان..؟

لم تجد في داخلها ما يدعوها لمواصلة المونولوج.. دست راسها في الوسادة

وحاولت الدخول في العتمة..

مساء الخميس أقفلت هواتف بيتها وراحت تخطط لمشروع جديد /ص ٢٣

فالسرد يغلب عليه الطابع الموضوعي بضمير الغائب عبر رؤية من الخلف والذي يطلق عليه (التبئير الصفري الذي يؤثر على الحيات والموضوعية واستقلال السرد عن التحكم في مجرى القصة وعدم التدخل في تفاصيل الحكاية..). فتقدم دفقة شعورية غنية بالايحاء والرمز وهي تناسب هادئة بتدفقها الروحي مع تميزها بالكثافة والتركيز ومفارقة تشكل نهاية السرد الذي ينتمي الى مستويات اجتماعية ووطنية ونفسية.. مما يجعل بؤرته مركزية على الخارج او الداخل والراوي يكون خارجا مرة وذاتيا مشاركا اخرى..

(هواتف الليل)..قصها القصير جدا يحمل مشروطيته في الفكرة والحدث والشخص والزمكانية والعقدة والضربة المفاجأة.. الباعثة للإدهاش.. مع ابتعاد عن الوصفية من اجل مشاركة المتلقي في تفعيل النص وإثراء دلالاته نتيجة تقاطع المنتج المقروء مع خزين الذاكرة المستهلكة..

(استفاق اهل الصحراء النائبة فوجدوا ارضهم مليئة بسبائك الذهب.. لم يحسنوا جمعها ولا التصرف بها.. جاءت ايد غريبة فجمعتها..

ظلت السبائك تتكاثر..

اعترض اهل الصحراء على هذه السرقة السافرة.. فقطع الغرياء السنتمهم وايديهم..

بمرور الأيام انتقلت سمة القطع إلى جينات دمهم.. فصاروا يلدون أطفالا مقطوعي الألسن والأذرع.. ولذلك ظل الذهب يسرق ليل نهار.. /ص ١٨..

فالنص الذي هو عالم متخيل ومصنوع صنعة محكمة مقابل عالم واقعي متميز بقدرته على التكتيف الدلالي وإثارة التأويلات وعنصر المفارقة الذي يحكم ستراتيجية النص.. فضلاً عن اعتمادها على عناصر القص (شخصية وحدث وزمكانية وحبكة).. مع تعدد الحقول الدلالية والمعرفية من جهة وتحقيق المتعة فنيا وجماليا من جهة أخرى.. كونها نصوصا متماسكة من حيث البناء والدلالة.. فضلا عن اكتنازها بطريقة سردية حدثية معاصرة..

(هواتف الليل)..فيها توظف القاصة تقانات فنية من اجل منح المعنى في النص بعدا شعريا.. إضافة إلى أنها تحدث توازنا موضوعيا وفنيا داخل النص مع اعتماد ضربة رؤيوية..

(هواتف الليل) تقانة التنقيط فيها دلالة الحذف المشكلة لبلاغة البياض التي يملأها المتلقي بما يتناسب وسياق الدلالة..

(هواتف الليل) تكشف عن قاصة تمتلك القدرة على توظيف الجزئيات فنيا بما يتماشى وتغير الأحداث في النص..